الفقيه أحمد بن حنبل
وفكره التربوي

أ. م. د. عبد الكريم محسن الزهيري
قسم التربية وعلم النفس / كلية التربية / جامعة الأنبار

أهمية البحث والحاجة إليه:

تعد التربية ذلك الجهد الذي يبذل في سبيل الارتقاء بالمجتمع، وهدفه الرئيس تمكين الإنسان من تنمية عقله إدراكاً ووجداناً ونزوعاً تتجلى في السلوك الفعّال، فكراً وخلقاً وإرادة، ليتكيف مع العمل في مجتمعه إلى ما فيه خيره وخير أمته ومن ورائها خير الإنسانية جمعاء (٢٦: ص١١٠).

فالتربية هي عملية تشكيل أفراد صالحين وإعدادهم في مجتمع معين وزمان ومكان معينين حتى يستطيعوا إكساب المهارات والقيم والاتجاهات وأنماط السلوك المتنوعة التي تيسر لهم عملية التعامل مع البيئة الاجتماعية والمادية التي ينتمون إليها (٣٨: ص١٠).

والتربية لا توجد في فراغ بل هي وعاء وأساليب وإجراءات ينقل بها تراث الأمة من الأجداد إلى الآباء والأبناء (١٦: ص١٢)، وبها تتطور الحضارة عن طريق العلوم المتفجرة والمعارف المتزايدة على نسق ينسجم مع نظرة الأمة ورسالتها في الحياة (١٣: ص٢١).

إن التراث العربي الإسلامي هو نتاج الثقافة العربية الإسلامية الفكري وهو رحم الأمة العربية وأصالتها وإنسانيتها ومواجهتها للتحديات الكبرى كونها وحدة قائمة على التنوع والتكامل بين أجزائها وفيه تتجسد شخصية الأمة ويستلهم أبناؤها الوعي والإيمان.

إن الأمة التي تحمل رسالة حية على مدى التاريخ ينبعث من أعماقها دعاة وكتاب ونوابغ يحددون فكرها ويدفعونها إلى الأمام، فهي تصنع هؤلاء الأعلام الذين يصنعون التاريخ، وفي مجال التحدي يبدو هذا المعنى أكثر وضوحاً فيما يخص التاريخ العربي الإسلامي، ففي مختلف المراحل التي يواجه الفكر العربي الإسلامي أزمة عاصفة كانت القوى الحية في ضمير الأمة قادرة على أن تبرز أعلاماً وقادة يجددون وجه الحياة ويصححون المفاهيم ويدفعون عجلة الحياة إلى الأمام دفة قوية متماسكة (٦: ص٣).

إن الفكر التربوي العربي الإسلامي غني وغزير بالعلم والمعرفة، وان في الحضارة العربية الإسلامية مع كثرة البحوث والدراسات التي اتخذت الفكر التربوي موضوعاً، إلا إن هناك جوانب عديدة لم يسلط عليها الضوء، وعليه إن مهمتنا هي اكتشاف مكامن القوة الحقيقية من فكرنا التربوي العربي الإسلامي وبناء نظامنا التربوي بالاعتماد عليها، لكي يؤدي دوراً فاعلاً في السلوك الفردي للإنسان الذي يؤمن به ويحدد له قيمته الأخلاقية والسلوكية التي

تقوم عليها اختباراته وقراراته الحياتية التي تنفصل فيه العبادة عن المعاملة وهذا واضح إذا ما قارنا النسق العقيدي واتساقه الذي يقدمه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وآثار السلف الصالح في جوانب الحياة كافة (٢٤: ص١٠ ـ ١١).

لقد اتسم الفكر التربوي العربي الإسلامي بالشمول والإحاطة، لان الإسلام رسالة (دين ودنيا) إذ ربط الإيمان بالعمل قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} (التوبة١٠٥).

واتسم الفكر التربوي العربي الإسلامي بالاجتماعية، فقد تشكلت التربية على وفق احتياجات الفرد المسلم في الحياة الدنيا والآخرة، وقد تمثلت في شخصية الرسول الكريم محمد ﷺ فأهلته لقيادة عملية بناء شخصية الفرد العربي المسلم فكان بحق المربي والمعلم الأول، وأكد إن يكون سلوك الفرد المسلم مؤدياً للعبادات قوياً عارفاً للأمور التي يكلف بها شرعاً، والاهتمام بالعلم والعمل، لأنها من الأمور التي تطور المجتمع وتقدمه، لذا يعد الإسلام ثورة على الباطل والتمسك بمكارم الأخلاق والتعاون على البر والتقوى، وان يراقب الإنسان نفسه في أعماله وسلوكه (٣٤: ص١٦٧).

إن مهمتنا إن نتحدث بشكل متوازن عن قادة تراثنا الفكري والديني والقومي من الذين قدموا خدمة جليلة للإنسانية والعالم كله فضلاً عن ماضينا المجيد ويجب إن نتوارث أجيال امتنا العربية الإسلامية الحديث جيلاً بعد جيل عن هؤلاء القادة الأفذاذ (١٧: ص١٥).

إن أهمية هذا البحث تتضح من خلال الحاجة التربوية والثقافية التي تفرض ضرورة مثل هذه الدراسات ولغرض تأصيل وتقوية فكرنا التربوي وتجاوز محاولات التمزق الداخلي والاضطراب الخلقي والتبعية الفكرية وفقدان الهوية نتيجة الغزو الثقافي الناتج عن محاكاة الغرب وتقليده.

إن هذا البحث تناول الكشف عن الجوانب التربوية في فكر الفقيه أحمد بن حنبل وإسهاماته المتعددة في مجالات كثيرة، فقد نذر نفسه للدفاع عن عقيدة التوحيد ومواجهة البدع والضلالات فقارع الأفكار الشاذة وانتصاره لعقيدة الإسلام وإتباع الكتاب والسنة والعمل بهما والسعي إلى الحفاظ عليهما من تحريف أهل العقائد والمذاهب الأخرى.

كان إبداعه الفكري متنوع وهذا جاء نتيجة لتنوع ثقافته ولذلك أثرى فكر الأمة التربوي فأعطى نتاجاً متنوعاً في مجالات التعليم الإسلامي وفي التربية السلوكية.

فهو أحد أعلام الفكر التربوي الإسلامي الذي تميز بفكره المعتمد على الأصول الصحيحة.

إن الفكر التربوي للفقيه أحمد يمثل الاتجاه العام لفكر أهل السنة والجماعة حيث إن الأمة العربية الإسلامية تعيش واقعاً فكرياً متردياً نتيجة للانصهار الفكري بين الشرق والغرب ونتيجة للتغريب في معظم جوانب الحركة الفكرية، فقد جاء هذا البحث لكي يكشف جانباً من تراث علماء ومفكري الأمة العربية الإسلامية

وكذلك إثراء المكتبة التربوية بالدراسات التراثية والتربوية الدقيقة ودراسة التراث العربي الإسلامي ومعرفة الخبرات المتصلة والأحداث الفاعلة التي ما تزال تؤثر في الناس وتوجه سلوكهم في تلك الحقبة من الزمن.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

١. التعرف على العوامل التي أدت إلى تكوين رؤية الفقيه أحمد بن حنبل الفكرية والفلسفية والتربوية.

٢. التعرف على بعض الجوانب الفكرية والفلسفية والتربوية التي جاء بها الفقيه أحمد بن حنبل.

٣. استنباط بعض المواعظ والنصائح والحكم المتضمنة لمسيرته الفكرية من خلال التعرف بمساهمته في تنشيط الفكر التربوي الإسلامي ورحلاته العلمية وتصانيفه وتدريسه للعلوم الإسلامية ومناهجه الدراسية وطرائق تدريسه.

حدود البحث:

يشمل البحث وصف للبيئة التي عاش فيها الفقيه أحمد بن حنبل ونشأته وأسرته وحياته العلمية والفكرية والدينية والتربوية.

طريقة البحث:

أتبع الباحث طريقة المنهج الوصفي التحليلي.

نشأته ونسبه:

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسم بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر وائل بن قاسط بن وهب بن أقصى بن دعمى بن جدلية بن أسد بن ربيعة بن نزار ويلتقي نسبه مع نسب الرسول محمد ﷺ في نزار (٢٧ :ج١ص٣٠).

ولد في بغداد بعد أن جاءت أمه من مرو وهي حامل به في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤هـ لأب جندي كان قد مات شاباً وله ثلاثون سنة، فنشأ في رعاية أمه، وهو ينتسب إلى ربيعة ولكنه كان يفاخر بقبيلة شيبان لأنه حارب معهم (٢ :ج٤ص٤١٤).

بدأ تعليمه منذ الصغر فشرع يطلب الحديث وعمره ست عشرة سنة (١٩ : ج٢ ص٢٩).

ولذلك بذل كل جهوده من أجل الحصول على العلوم. ومن شدة اهتمامه بالعلم انه عندما سرق متاعه لم يسأل عن شيء إلا عن الواحة التي سرقت منه، ولذلك لشدة اهتمامه بالعلم مما أثارت إعجاب الآخرين في عصره يقول احد الأدباء: (أنا انفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم انظر كيف يخرج ؟) فقد كان يقول: (أنا أطلب العلم إلى أن ادخل القبر).

تنوعت الأماكن العلمية التي درس فيها فالتحق بالكتاب ثم إلى الديوان ليمرن على الكتابة والتحرير ثم واصل تعليمه في المسجد مع كبار الشيوخ وأئمة الفقه والحديث، فقد جلس في حلقة الشافعي وأبو يوسف في بغداد بجامع المنصور ثم تنقل بين البصرة والكوفة واليمن والشام والحجاز طلباً للعلم كان يجيد اللغة العربية وهو إمام فيها وكذلك تكلم اللغة الفارسية (١٤: ج١١ص٢١٧ ـ ٢١٨).

كان أحمد بن حنبل يعتمد على الأصول الخمسة في الفتوى وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، وأقوال الصحابة، ثم الحديث المرسل والضعيف والتجأ للقياس عند الضرورة في حالة عدم وجود نصاً صريحاً في الكتاب فيأخذ بالرأي والاجتهاد ولذلك حذر من الفتوى دون أثر.

درس أحمد بن حنبل على يد كبار شيوخ عصره ومنهم: أبو يوسف (ت١٨٢هـ)، وهيثم بن بشير (ت١٨٣هـ)، ومعتمر بن سليمان (ت١٨٧هـ)، وإسماعيل ابن علية (ت١٩٣هـ)، ووكيع بن الجراح (ت١٩٦هـ)، والشافعي (ت٢٠٤هـ).

وكان له تلاميذ كثيرين يدرسون على يده وأصبح لهم شأن كبير في عصرهم ومنهم:

مهنأ بن يحيى الشامي (ت٢٤٩هـ)، وعبد الوهاب بن الحكم الوراق (ت٢١٥هـ)، واسحق بن منصور الكوسج (ت٢١٥هـ)، والبخاري (ت٢٥٦هـ)، وإبراهيم بن هانئ أبو اسحق النيسابوري (ت٢٦٥هـ)، صالح بن احمد (ت٢٦٦هـ) (٢٨: ج٢ص٣١).

كان أحمد مقتدياً بالرسول محمد ﷺ في سلوكه ومعاشرته الناس فخالطهم وعاشرهم في حدود مرضات الله، كان يشارك الناس أفراحهم وأحزانهم.

وقد وافاه الأجل في ١٢/ ربيع الأول / ٢٤١هـ المصادف يوم الجمعة وكان له من العمر ٧٧ سنة ودفن في منطقة باب حرب في بغداد (٢٨: ص١٧).

الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية:

أ_ الحياة السياسية: كانت الحياة السياسية في ذلك العصر في أعلى درجات الازدهار السياسي في زمن الدولة العباسية وفي عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد في زمن الرشيد، وكان الخليفة هو رأس الرمح ويليه الوزير والقاضي (٩: ص٣٨٥).

كانت الدولة العباسية مستقرة بسبب شخصية بني العباس وقضائهم على الفتن الداخلية بكل أشكالها وأماكنها، لكن الفتنة التي حصلت بين الأمين والمأمون. وما أحاط بالدولة العباسية من قوى معادية ومنها الروم الذين هاجموا بعض ثغور الدولة العباسية استطاعوا استرجاع هذه الثغور بل فتحوا عدة حصون في بلاد الروم حتى كان أكثرها فتوحاً في زمن المأمون.

أما علاقة العباسيين مع الدولة البيزنطية فهي علاقات حرب (٨١:ج٢ص٦٥) وقد نهى أحمد من الخروج بالسيف، فالطاعة ليست هي أن يقول كل ما يرضي الخليفة سواء حقاً أم باطلاً، فهذا رياء ونفاق (١٥: ص١٦١).

ب. الحياة الاجتماعية:

أما بخصوص الحياة الاجتماعية فيقصد بها المجتمع ومكوناتها من حيث الدين والجنس والمناصب الإدارية وحالات الإعمار والفنون واللباس والطعام فالدين كانت هناك طوائف دينية متعددة وكانت الغالبية هي من المسلمين ومتعددي المذاهب وهم (السنة والمعتزلة والشيعة).

أما من حيث الجنس فتكون المجتمع من العرب وهم المغربيين واليمنيين وكذلك غير العرب وهم الفرس والترك والروم والهنود والزنوج (٣:ص٢٠).

وظهر النزاع بين الجواري والحرائر فأولاد الحرائر يفخرون على أولاد الجواري كالذي كان بين الأمين والمأمون أولاد الرشيد فأم الأمين حرة، أما أم المأمون فهي جارية (١٢:ص١٥٧ ـ ١٥٨).

لقد اهتم بني العباس بالمظاهر الاجتماعية من بناء وعمران وغنان وطعام ولباس، فقد بنى أبو جعفر المنصور مدينة بغداد سنة (١٤٤هـ) وبنى المساجد كمسجد الخيف بمنى وكذلك بنيت مدينة سامراء، وعمارة طريق مكة، كما اهتموا بالعلوم والفلسفة والشعر والجدل والمناظرات بين العلماء في المسائل الدينية والفقهية (١٠:ج٢ص٧٤).

أما بخصوص اللباس والطعام فقد انفق الخلفاء أموالاً كثيرة على الطعام فقد ذكر إن المعتصم قد ثرد الطعام وكثره حتى بلغ ألف دينار في اليوم وكذلك فقد ظهر الخلفاء بكامل أناقتهم ولباسهم الفاخر (٣٠:ص٣٦ ـ ٣٧).

كل هذه المظاهر الاجتماعية التي ظهرت في ذلك العصر جاءت نتيجة الامتزاج بين العرب وغيرهم.

وبما إن أحمد عاش في تلك المظاهر والظروف الاجتماعية إلا انه لم يتأثر بها فابتعد عن حياة الترف لأنه اعتبر الدنيا زائلة وتلهي الإنسان عن الآخرة، فقد رفض أموال الخلفاء وعيشتهم وعاش حياته زاهداً وراعياً لأهل السنة والجماعة في إتباع المنهج دون التأثر بهذه المظاهر.

ج. الجوانب الاجتماعية والثقافية:

أما بخصوص الجوانب الثقافية في ذلك العصر فقد كان العصر العباسي واسع الازدهار وهذا ساهم في تقدم وتوسع الدولة الإسلامية وقد اهتم الخلفاء بالثقافات، فكانت تعقد الجلسات العلمية والثقافية، فالمنصور كان عالماً بالحديث والأنساب، والرشيد أحب العلم والعلماء وقد قربهم من مجلسه، أما المأمون فكان لديه معرفة بمختلف العلوم وكان له مجلس يستقبل فيه الناس ويجيبهم عن المسائل التي يلقونها عليه (٦: ج٢ص١٦٨ ـ ١٦٩).

واهتم المتوكل بالمحدثين وجلبهم إلى مدينة سامراء وأكرمهم وبذل لهم الأموال في حين كان الواثق له اهتمامات علمية فله مجالسه العلمية في الفلسفة والطب وكان من ضمنهم حنين بن اسحق.

ونظراً للاهتمام الواضح والكبير في العلوم على اختلاف أنواعها فقد درّس في المساجد القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه.

وقد ترجم الكثير من العلوم المختلفة ومن اللغات المختلفة إلى العربية، كما كان هناك اهتمام كبير بأخبار العرب وأشعارهم والعلوم العقلية والفلسفية والمنطق والرياضيات والطب والكيمياء.

لقد بلغت الحضارة الإسلامية في ذلك العصر قمة العطاء الثقافي في جميع فروع المعرفة والعلوم ووصلت أعلى درجاتها من الرقي، وبذلك أصبحت حضارة متميزة وذات طابع خاص، فالتأليف شمل فروع المعرفة كلها، وانتشرت الحركة الثقافية في أهم وأكثر المدن كالبصرة والكوفة ومكة والمدينة والشام وقرطبة ومصر وبلاد الأندلس. لكن بغداد كانت عاصمة العلم والعلماء فأمدت الأمة الإسلامية بالفقهاء والمحدثين والمختصين بكافة العلوم والفنون.

مكانته بين علماء عصره:

لقب أحمد ألقاباً متعددة من قبل العلماء تتلاءم ومكانته العلمية فقد أطلق عليه العلماء أسماء وألقاب مثل (أحد أئمة الإسلام، والهداة الأعلام، إمام الحديث، أحد الأربعة التي تدور عليهم الفتاوى والأحكام، متبع الآثار، صاحب السنة، حافظ، فقيه حجة).

وتحدث عن نفسه بالحفظ بقوله (حفظت كل شيء سمعته من هثيم وهثيم حي).

كما أطلق عليه ألقاب بأنه أعلم الناس بحديث سفيان الثوري (١١ : ج٢ص١٨١) وأيضاً اعلم أهل زمانه، جامع علم الأولين والآخرين، أكثر الناس حفظاً للحديث وأكثر معرفة به وبرجاله، حافظ ألف ألف حديث، ولذلك عده علماء عصره إمامهم ولا تطلق هذه الإمامة إلا على عالم يحمل صفات تؤهله لها. وقال عنها الشافعي: (خرجت من بغداد، وما خلفت بها أحداً اتقى وأورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل) (٢٧ : ج٤ص٤١٩).

كان لمكانة أحمد وشخصيته تأثير بارز في تلاميذه فأنجبت لنا نخبة من العلماء المشهورين نتيجة لغزارة عالمهم بعلوم كثيرة وحافظاً لها فهو خير معلم لخير تلاميذ ومن هؤلاء التلاميذ: مهنأ بن يحيى الشامي (ت ٢٤٩هـ) وقد لازمه ٤٣عاماً فاخذ عنه الكثير من العلوم والمعارف، وعبد الوهاب بن الحكم بن الوراق البغدادي (ت ٢٥٠هـ) واسحق بن منصور التميمي (ت٢٥١هـ)، وحنبل بن اسحق أبو علي (ت٢٧٣هـ) وابنه عبد بن أحمد أبو عبد الرحمن (ت٢٩٠هـ) (٢٧ :ج١٣ص٢٦٧ ـ ٢٦٨).

وبما تميز به أحمد بن حنبل من نزاهة في الفقه وإخلاصه وغزارته في العلم فقد اتجه علماء عصره للأخذ عنه قولاً وفعلاً.

(الفكر التربوي منذ عصر الرسالة حتى عصر أحمد بن حنبل)

عصر الرسالة:

اهتم الإسلام بتعليم الإنسان منذ نزول الوحي والتبشير بالدعوة الإسلامية، حيث كانت أول آية في القرآن الكريم نزلت على النبي محمد ﷺ قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (العلق١) وكذلك قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (المجادلة١١) كما حثت أحاديث الرسول محمد ﷺ على طلب العلم فقال: (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) كما قال ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) (٣٣: ص٤١).

فقد سمع الصحابة الآيات القرآنية وتعلموا أمور دينهم وعقيدتهم، فقد كتب قسم من الصحابة ما سمعه الرسول ﷺ من الوحي ومنهم معاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت (٣٢: ص٣٢). حيث كان ﷺ يعلم أصحابه مبادئ الدين الجديد في داره ودار الأرقم بن أبي الأرقم، وكانت أهداف التعليم في ذلك الوقت التركيز على تثبيت العقيدة ونشر الدين عن طريق البعثات التعليمية.

وبعد أن هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة المنورة قام ببناء مسجد قباء وأيضاً المسجد النبوي الشريف وبذلك اعّد المدرسة الأولى في تعليم المسلمين كما كان هناك (دار القرّاء) التي أوجدها عبد الله بن أم مكتوم ومصعب بن عمير عند نزولهم في المدينة بعد معركة بدر (٣٦:ج١ص٢٨٦) وقد كان هناك مكتبة لأبي هريرة التي احتوت على مجموعة كبيرة لأحاديث الرسول محمد ﷺ، كان القران الكريم هو المنهاج الأساسي للتعليم فقال ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (٣١: ج١ص٧٧).

كما اهتم الرسول محمد ﷺ بتعليم الكتابة بعد حادثة معركة بدر فقد افتدى كل أسير مقابل تعليم عشراً من أبناء المسلمين الكتابة والقراءة. وأكد الرسول محمد ﷺ أيضاً على التربية البدنية حيث قال: (علموا أبناءكم السباحة والرماية) وفسح المجال لتعلم اللغات الأجنبية، كما أكد على نشر العلم في الأمصار البعيدة فقال ﷺ (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) (٤: ص٣٤٩)، حيث كانت طريقة التعليم القراءة والإملاء، كما كان للسؤال والحوار والمجيء بالأمثلة لكي يثبت المعلومة في أذهان الصحابة، كما أكد على الموعظة والحفظ، وحث الرسول محمد ﷺ على تعليم المرأة المسلمة حيث قال (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) (٣١: ج١ص٨١).

ولم يمنع الحياء المرأة من التعلم فقد اثنت عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار بقولها: (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) (١ :ج١ص٣٧).

عصر الراشدين:

لقد سار الخلفاء الراشدين على سيرة النبي ﷺ مع بعض التغيرات التي فرضتها طبيعة المجتمع، فقد جمع القرآن الكريم وكتب في صحف وهذا في أثناء خلافة أبو بكر الصديق. أما في أثناء خلافة عمر بن الخطاب فقد أكد على التربية السلوكية أي مطابقة الأعمال والأفعال بالأقوال.

أما في زمن خلافة عثمان بن عفان فقد جمع الناس على حرف واحد في القراءة وجعل السور الطويلة مع الطويلة والقصيرة معاً ووزع قسماً منها على الأمصار (٢٥: ج٥ص٤٤٨). أما في زمان خلافة علي بن أبي طالب فقد كان يوصي بان العلم خير من المال، لان المال تحرسه والعلم يحرسك والمال تفنيه النفقة والعلم يزكوا على الإنفاق، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

وبناء على ذلك الاهتمام الكبير بالعلم فقد انشأ الخلفاء المؤسسات التعليمية في المدن التي فتحوها وبنوا فيها المساجد، ثم أمر بإنشاء الكتاتيب وذلك لكثرة أبناء المسلمين ووضع عليهم معلمين. وكان أهم المناهج والكتب هو القرآن الكريم ثم اهتموا بعلم الأنساب وتفسير القرآن الكريم والاهتمام بالتربية البدنية وتعلم السباحة، كما أكدوا على المناظرات العلمية والشعرية ومجالات التفسير، وأكدوا على المذاكرة خوفاً من النسيان واهتموا أيضاً بتعلم النساء، وإرسال البعثات العلمية والحصول على المعرفة.

العصر الأموي:

لقد اهتم خلفاء العصر الأموي بالعلم والعلماء فقد أكدوا على سماع أخبار الماضي وتدوينها، فقد اتجه قسم منهم اتجاهاً علمياً وأدبياً فقربوا الشعراء والحفظة وأهل العلم فعرّبوا الدواوين وكتب الكيمياء والعلوم الأخرى، واهتموا بالحديث وأمروا بتدوينه، فشيدوا المساجد كمسجد القيروان وجامعي دمشق والزيتونة (٣٥: ج١ص١٢١). حيث تلقى المسلمون فيها دروساً في القرآن الكريم وتفسيره وأحاديث الرسول محمد ﷺ من كبار الصحابة والمحدثين (٢٩: ٨٨ ـ ٩١). كما انتشرت الصالونات الأدبية ومعاهد التدريس للطب والصيدلة والمدارس الفكرية والمذهبية كمدرسة الحديث ومدرسة أهل الرأي (١٣: ص١٤٩ ـ ١٦٢).

واهتموا بدراسة الشعر العفيف والاهتمام باللغة العربية وسلامتها من فساد اللسان واهتم العلماء والمعلمين بنفسية المتعلم وكيفية تقديم المادة بطرق مشوقة خوفاً من حدوث الملل والضجر وتقديم المادة المتدرجة من السهولة إلى الصعوبة، وان طريق التعلم طويل ولا يمكن الحصول على كل شيء في وقت قصير، كما اهتموا بالرحلات العلمية والتعرف على المعلمين والعلماء وطرائق تدريسهم في أثناء تبادل الخبرات والرأي في المجالات التربوية.

لقد كان للفكر التربوي في ذلك الوقت (عصر الرسالة والعصر الأموي) سمات وصفات عديدة تميز بها عن غيره من العصور الذي أعقبته، فقد كان في عصر النبوة يهتم الرسول محمد ﷺ بتعليم أصحابه القراءة والكتابة وحفظ

الأحاديث النبوية الشريفة والاهتمام بالعلوم الأخرى والتبادل الثقافي والاهتمام بالرحلات العلمية وبناء المساجد التي أعدت بمثابة المؤسسات التربوية في تلك البلدان وإنشاء الكتاتيب والاهتمام بتعليم المرأة، كما تنوعت أساليب التعليم والتأكيد على الجانب التطبيقي للفكر التربوي واقتران القول بالفعل والعلم بالعمل.

العصر العباسي:

لقد تميز هذا العصر بالازدهار العلمي نظراً لاحتكاك العرب بغيرهم وامتزاج الثقافات المختلفة مع الثقافة العربية الإسلامية ومن هذه الثقافات (الهندية، الفارسية، اليونانية) لذلك اهتم كثير من خلفاء بني العباس بالعلم والعلماء فقد اشتهر المنصور بطلب العلم وخصوصاً علم الحديث والأنساب.

أما الرشيد فكان لديه علمية في المناظرات الشعرية والمناقشات الفقهية وكان ولده المأمون شغوفاً بالعلم وأيضاً الواثق والمتوكل فقد اهتموا بالمحدثين وأصحاب المذاهب وقدموا لهم العطاء وأكرموهم. ولذلك اعد العلماء إن العلم أجل من السلطان (٢١: ص٤٣٩ ـ ٤٤٠).

وبناءً على ذلك فقد ازدهرت الحركة الفكرية وأنشأت المؤسسات التربوية واتسعت الحركات التعليمية وطورت المناهج وترجمت الكثير من الكتب ونشطت حركة التبادل الثقافي وكثرت الرحلات العلمية وأرسلت الكثير من الوفود العلمية، فكثرت الكتاتيب وانشأ الديوان وبدأ التحرير والكتابة حيث كانت بغداد مركز الخلافة العباسية فقد غصت بالحلقات التعليمية فتوافد عليها سيل من طلبة البلدان كافة، وقد انشأ بيت الحكمة لنسخ الكتب والترجمة وخصوصاً في عهد المأمون. أما المنتديات الأدبية فأصبحت ملتقى العلماء والأدباء المثقفين في ذلك الوقت، أما حوانيت الوراقين فقد ازداد ظهورها ولم يقتصر نشاطها على بيع الكتب بل ساهمت في زيادة النهضة العلمية فان معظم أصحاب هذه الحوانيت هم من الأدباء وله اهتمامات تربوية، أما منازل العلماء فقد كانت ملتقى العلماء والأدباء وساهمت في ظهور المدارس الفكرية والمذهبية.

المناهج التعليمية في العصر العباسي:

لقد تميزت المناهج التعليمية في ذلك العصر فقد تطورت كثيراً وذلك لاختلاف مشارب المفسرين على توضيح المعاني والشروحات لكثير من الكتب والمؤلفات، فقد ركز على الجوانب العقلية وكثر المفسرين وكتاب الحديث وألفت الكثير من الماسنيد وظهر علم التصوف والزهد كما ازداد الاهتمام بالعلوم اللغوية والترجمة وخصوصاً الكتب الفلسفية والطب والنجوم والمنطق وغيرها (١٠: ج٢ص٣٤٧).

كما ظهرت علوم الرياضيات وعلم الفلك والعلوم الطبيعية والتجريبية مثل الكيمياء وعلم الطبيعة والحيوان والنبات وغيرها من العلوم التطبيقية مثل الطب والصيدلة (٢٣: ١٩٠ ـ ٢١٧).

طرائق التدريس:

أما بخصوص طرائق التدريس التي كانت سائدة في ذلك العصر فقد كانت تؤكد على الحفظ والإملاء والقراءة والكتابة وأيضاً عن طريق طرح الأسئلة والإجابة عليها كما كان للمناظرات دور أساسي في التعليم وإظهار الحقيقة وبيان المنطق الصحيح وإقناع المقابل بالرد العلمي والمنطقي الحقيقي القائم على العقل.

المرأة والتعليم:

كما اهتم بتعليم المرأة عن طريق ندوات علمية خاصة تعقد للنساء وكانت تأخذ دروساً في التفسير والحديث وطرح بعض الأسئلة والإجابة عليها. أما الرحلات العلمية فقد كان لها دوراً مهماً في تلقي العلوم المختلفة والاطلاع على حضارات العالم والامبراطوريات الأخرى والإفادة منها. كما ظهرت بعثات علمية وهي وصول بعض العلماء إلى بعض الأمصار لبيان ما يمتلكون من علوم وخبرات والحصول على بعض كتب وعلوم الآخرين بعد ترجمتها إلى العربية وخصوصاً في المجالات الفلسفية والطبية والمنطق، كما اتسعت حركة التأليف بكافة أنواع العلوم وفروعها، وزيادة الحلقات التعليمية بشكل كبير جداً واتساع حركة الرحلات والرحلات العلمية والتبادل الثقافي بين العلماء وظهور المذاهب والمدارس الفكرية وانتشارها بصورها المختلفة.

مساهماته في تطوير الفكر التربوي:

لقد ساهم الفقيه أحمد بن حنبل في تطوير العملية التربوية، فقد كان من السبّاقين في تطوير العملية التربوية، ومن خلال جمع الحديث النبوي الشريف والسماع من رواة الحديث، فذهب إلى مناطق (الكوفة، البصرة، مكة، المدينة، اليمن، الشام، الجزيرة) لجمع هذه الأحاديث (٢: ص١٩٧). حيث تلقى تعليمه لأول مرة في بغداد مسقط رأسه وبدأ زياراته المتعددة إلى المدن الأخرى لاطلاعه على الكثير من علوم العلماء فسرع وساهم في نضوجه الفكري وتنوع نتائجه وعطاءه العلمي فقد صنف في عدة موضوعات وهذا دليل على ثقافته الواسعة، حيث كان مسنده الذي يتضمن نحو ثلاثون ألف حديث أخذت من سبعمائة وخمسون ألف حديث (٣٧ج١ص٢١).

وبذلك احتل المسند مكانة رفيعة بين مصادر الحديث الشريف، فأصبح موضوع اهتمام علماء الحديث لكونه أثرى الفكر التربوي كثيراً، وكذلك كتاب (الإيمان) الذي أكد فيه على إن كل الناس في الإيمان سواء، والإيمان قول وعمل يزيد وينقص القول والعمل هما الإيمان، لذا فليس كل الناس فيه سواء (٢٠: ص١٦٣) وكذلك كتابه (الصلاة) الذي أكد فيه هذه الفريضة، وأيضاً كتابيه (الرد على الزنادقة) و (الرد على الجهمية) والتصدي للفكر الوافد، بل الاعتماد على الفكر التربوي الإسلامي النابع من الأصول. وأيضاً كتابه (الأشربة) والذي ضمنه الأشربة المحرمة والتي حرمها الرسول محمد ﷺ والصحابة التابعين وتأكيد حرمتها كما كان كتابه (فضائل الصحابة) الذي وضح فيه أحقية كل خليفة في خلافته وأيضاً كتابه (السنة) الذي تضمن عدة بحوث كآراء العلماء في الجهمية وأقوالهم

وكان واضحاً في طرح الرأي الصائب الصحيح وبذلك قد أثرى الفكر التربوي كثيراً بهذه المؤلفات، وهناك مصنفات عديدة أخرى مثل (الزهد) و (الورع) حيث كانت حلقة الفقيه أحمد بن حنبل في بغداد من أكبر الحلقات وقد جلس للتدريس جلسته الفعلية عندما بلغ الأربعين من العمر، ولم يواصل التدريس بل انقطع عنه حتى امتنع عنه، وكان لأحمد مجلسين احدهما خاص فيعقده في منزله لأفراد أسرته وأبنائه، وأما العام فقد يصبح عدد الحضور فيه ما يقارب خمسة آلاف أو يزيد، حيث كان مجلسه يمتاز بآداب وطرائق تدريسية خاصة.

كان له تلاميذ عديدين أصبحوا فيما بعد علماء أسهموا في تطوير مسيرة الفكر التربوي العربي الإسلامي ومنهم (البخاري ت٢٥٦هـ)، (مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ)، (وأبو اسحق الحربي ت٢٨٥هـ)، (وأبو القاسم الخرقي ت٣٣٤هـ).

آراؤه التربوية:

أتخذ الفقيه أحمد بن حنبل الرسول محمد ﷺ قدوة في آداب العالم والمتعلم، فقد كانت لمكانة العالم وفضله على المتعلم كقول الرسول محمد ﷺ (إن فضل العلم على العبد كفضل القمر على سائر الكواكب) (٢٩ : ص٨١) وعلى المعلم أن يتحلى بآداب كريمة لكي يرتقي إلى مستوى الرسالة التي يؤديها، فقد أكد الغزالي بقوله: (من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً) (٢٢ص١٨٧). فعلى المعلم أن يتحلى بصفات إسلامية حميدة قولاً وفعلاً وتكون متجسمة في سلوكه لكي يكون قدوة لغيره امتثالاً لقول الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (الأحزاب٢١).

لقد أكد على التحلي بالأخلاق الفاضلة والتقوى لأنها الأساس التي تبنى عليه أعماله وأفعاله اليومية، فهو يخاف الله في أعماله وأقواله بقوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء} (فاطر٢٨) وأكد على الصدق تيمناً بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة١١٩)، فقد صبر كثيراً لكي يحصل على العلم فتحمل المشاق والمصاعب، وكان عفيف النفس امتثالاً لقول الرسول محمد ﷺ (ازهد في الدنيا، يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك) (٢٢ : ٢، ص١٣٧٣ ـ ١٣٧٤)، وكان يجود ويتبرع لمن يطلب منه، كما انه كان يعرض عن قول القبيح في وجه من يلاقيه، فقد ذكر عنه انه أكمل الناس ديناً وفقهاً وعلماً وآداب وكرم خلق وثباتاً على الإسلام. وكان يؤكد للعودة إلى كتاب الله في حل مشكلات الناس وان لم يجد نصاً يعود إلى أحاديث الرسول محمد ﷺ وان لم يجد فانه يعود إلى أقوال الصالحين.

وكان همه الوحيد من الحصول على العلم هو التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ولا يحب الشهرة ولا يحب المدح والثناء من قبل الأمراء، واعتبر الشهرة ابتلاء من الله، فهو لا يحب التزين بلباس القرّاء وإظهار النسك، ولا يحب السلطة والحصول على المواقع الإدارية والحكومية، فقد رفض مناصب عديدة منها قاضياً في اليمن في زمن هارون

الرشيد (٣٠: ج٧ص٢٦٤). وكان يرفض الهدايا التي تقدم إليه من السلطان، ولا يحبذ زيارة الأمراء في بلاطهم وقصورهم، كان يصلي في كل يوم وليلة (ثلثمائة ركعة) وكان يختم القرآن الكريم مرة في الأسبوع وكان يكثر الصيام فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوم آخر (٤٠: ج٩ص١٨١). كان لا يحب المزاح والضحك، بل كان يبتعد عن الأفراد الذين يكثرون من المزاح، كان مصدر رزقه هو عمله بالكتابة وأحياناً يشتغل بنسج التكك* لكي يبيعها ويستفيد من أثمانها.

اهتم بنظافة ثيابه وجسده وشعر رأسه وهذه من سمات المسلم. وعندما جلس للدرس كان عمره أربعين سنة وعد هذا العمر سمة من سمات المعلم الجديد لاكتمال أهليته ونضج عقله وفكره، وكان يجلس للدرس أينما وجد له مكان ولا يأخذ مكان غيره من طلبته، وكانت جلسته القرفصاء (١٥: ج١١ص٢١٨). ولا يمد قدمه في المجلس فالوقار والسكينة تعلوه في مجلسه. فعند سؤاله يجيب ما يستطيع إجابته من القرآن الكريم والسنة النبوية أو عن الصحابة والتابعين وأحياناً إذا كان لا يعرف الجواب يقول: لا أدري.

أما بخصوص معاملته لتلاميذه:

فقد كان يعاملهم بالتساوي، لكن كان يكرم الفقير منهم، ويعتذر لهم عندما يرى ذلك، فقد كان يعد نفسه والد لكل تلاميذه ولا يرضى أن يميز عنهم، ففي أحد الأيام مّر بأحد الأساتذة وكان يجلس في الفيء وتلاميذه يجلسون في الشمس، فجاءه في المساء وطلب منه عدم تكرار ذلك وقال له اجلس حيث يجلس التلاميذ (٢: ج١٤ص٢٢).

وقد نصح تلاميذه بان يأخذوا العلم من رجال شهد لهم بالصدق والأمانة العلمية ولا تأخذوا من غيرهم. وكان لا يحب أن تدون مسائله الفقهية كان ينهي درسه بقوله لتلاميذه (إذا شئتم) فهذا أدب تربوي (١٤: ج١١ص١٢٣).

وقد اعتبر نفسه دائماً متعلماً وطالباً فيتخلق بأخلاق المتعلمين وتأدبهم مع شيوخهم، حيث كان متواضعاً، وكان لا يتخطى الناس في مجالسهم فقد كان يجلس في المكان الذي يراه فارغاً. ولا يجلس عندما يكون شيوخه واقفين، ويكثر الدعاء لشيوخه في الصلاة ودعواته لهم لأنهم أصحاب أفضال كثيرة عليه وبذلك يعد نفسه مداناً لهم.

التربية السلوكية وتأثرها بالورع والزهد:

لقد عرف الزهد المشروع: (بأنه ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة وثقة القليل بما عند الله)، وفي الحديث الشريف (الزهادة في الدنيا ليس بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وان تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو أنها بقيت لك) (٣٣: ج٢ ص١٣٧٣).

* التكك: وهي تكة السراويل وهي رباط السراويل.

وعرفه أحمد بن حنبل بقوله: (هو قصر الأمل واليأس مما في أيدي الناس) أما الورع فهو الكف عن المحارم والتحرج منه. والورع هو الإمساك عما يضر، فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر (٥: ص٥٠). (وهو كل ما يصلح فيه الورع يصلح فيه الزهد من غير عكس) (٥: ص ٥٢).

والزهد في نظر أحمد بن حنبل هو زهد الأوائل من الأنبياء والصحابة والتابعين، لقد اهتم الفقيه بقضايا المجتمع على الرغم من العصر الذي عاش فيه عصر ترف وبذخ وثراء، لكنه كان مثالاً لحياء العلماء ورضاهم بما لديهم، فكان يعالج النفس الإنسانية بالإيمان ويهتم بالجوهر ونقاء النفس من الفساد، فقد اعد جوهر الإنسان هو قلبه تيمناً بقول الرسول محمد ﷺ: (مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله) (٣٠:ج١١ص٢٧ ـ ٢٨).

وأكد أيضاً على النية الصادقة واعدها الصدق الباطني، وللصدق مكانة كبيرة في نفس الفقيه أحمد بن حنبل، والصدق هو الإخلاص، والإخلاص هو الزهد مستشهداً بقوله تعالى {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} (المزمل٨). ولذلك بينت التربية السلوكية عنده على أساس التقوى والخوف من الباري عز وجل، فقد كان رسول الله محمد ﷺ يتعوذ من عدم خشوع القلب بقوله (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع) (٣١: ج١٧ص٤١). وقد تكون الدنيا فتنة فعليه الحذر منها، ولذلك ابتعد عن الشهرة ولجأ إلى العزلة والخلوة فهي أروح إلى القلب، والشهرة هي ابتلاء واختبار للإنسان من الله سبحانه وتعالى.

كان لا يحدث إلا من كتاب مع شهرته بالحفظ، ويدعوا إلى ممارسة التعليم والعمل بهذه العلوم لتي يتعلمها من اجل فائدة الناس، لا يرغب في الحصول على المناصب والسلطان ولا يتقبل الهدايا مهما كان مصدرها، كان يحث أولاده على العمل والحصول على قوتهم من عرق جبينهم، ويفضل الفقر على الغنى لاعتقاده بان الغنى قد يؤدي بالإنسان إلى البطر وينسى نعمة الله التي أمن بها على الناس.

من صفاته كان قنوعاً راضياً بالقليل من الطعام واللباس ففلسفته هي الزهد والابتعاد عن مظاهر الدنيا وبهرجتها كالأموال والمناصب والشهرة بل كان متعففاً صابراً راضياً بالقليل الحلال.

العملية التربوية عند الفقيه أحمد بن حنبل:

كانت العملية التربوية تهدف من خلال منظور الفقيه أحمد بن حنبل إلى الارتقاء بالمجتمع العربي الإسلامي وتحقيق أهدافه السامية، من خلال المراقبة الذاتية للنفس، واعتماد الأخلاق أساس في التعليم لكي يتمكن من بناء مجتمع قوي من الناحيتين الفكرية والسلوكية، كان طلب العلم من اجل السمو والارتقاء بالمجتمع، فقد كان جاداً في اتخاذ العلم ولا يتصنع أو يتكلف في اخذ العلم فهمه هو نشر الدين الإسلامي امتثالاً لقوله تعالى: {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} (آل عمران ١٨٧) وقال ﷺ: (بلغوا عني ولو آية) (٤: ج٤ص١٤٧).

لقد تميز التعليم في ذلك العصر بتنوع مصادر التلقي عن الشيوخ فقد درس على أيدي شيوخ الكوفة وبغداد والبصرة وأهل الحرمين واليمن والشام والجزيرة، كان يهتم بالحفظ ويؤكد عليه، حيث أكد بأن العلم دون عمل لا فائدة منه، وما الفائدة من العلم إن لم يكن خلقاً مغروساً من نفس الإنسانية فالفكر يجب أن يترجم إلى سلوك، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} (الصف٢)، ولذلك عد العلماء هم حملة الرسالة السماوية فإذا فسدوا فسد بفسادهم الناس، ولذلك كان يؤكد على الاستمرار بطلب العلم والاستزادة منه، وهذا ما أكده عندما انخرط في طلب العلم وهو طفل صغير مما زاد من ملكة الحفظ عنده فازداد غزارة علمية وفقهية.

كانت المناهج التعليمية تشكل دور مهم في العملية التربوية فلا يستطيع المعلم القيام بواجبه دون معرفة المناهج التدريسية التي سوف يقوم بتعليمها.

والمناهج التعليمية في عهد الرسول محمد ﷺ ركز على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبقيت مستمرة حتى العصر العباسي، وكان يفضل القراءة السهلة ويعلم الناس قراءة القرآن وتفسير الحديث والفقه والمناسك وأمور العقيدة واهتم بعلم السلوك فيعلم تلاميذه الأخلاق من خلال سلوكه.

طرائق التدريس:

كانت للفقيه احمد بن حنبل طرائق تدريس اتبعها في أثناء تدريسه لتلاميذه ومنها:

القراءة /

فقد كان يقرأ على تلاميذ ما يريد تدريسه وهم يسمعون ويكتبون.

الحفظ /

لقد حفظ تلاميذ الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة عندما كان يجلسهم فيذكر الحديث ويحفظه تلاميذه ويتقنوه.

الإملاء /

كان يطلب من تلاميذه بعد حفظ الأحاديث وقراءتها، كتابتها واستنساخها.

المذاكرة /

أكد على المذاكرة وهي مراجعة الدروس التي يأخذها تلاميذه ويذاكرونها فيما بينهم من اجل الحفظ ومعرفة كتابتها إملائياً.

المناظرة وطرح الأسئلة /

وهذه المناظرات انتشرت في عصر المأمون حيث اعترف بأهميتها في المجال التربوي فمناظرة واحدة هي خير من تكرار عشرات المرات، والمناظرة تقوم على أساس الحوار والنقاش بالأسئلة والأجوبة وصولاً للحقيقة الخالية من الشك.

الدور التربوي وإتباع الأصول الصحيحة:

كان ثابت العقيدة مؤمناً بتطبيق الفكر علمياً، من هذا جاءت قوته وشجاعته في مواجهة العقائد الأخرى. فكان مستعد للثبات من البداية نفسياً فقد جاء قول الرسول محمد ﷺ (لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة) (٢٩: ج٢ص١٣٣٩).

فدافع الإيمان لديه عالي جداً ويعده مبدأ من مبادئ التربية الإسلامية، تعرض الفقيه أحمد بن حنبل إلى الضرب بسياط المعتصم، فضربه الجلادين بشدة ووجهوا إليه الإهانات، لكنه يزداد ثباتاً في وقت توجيه بالدعاء عند ضربه. فالدعاء عبادة وهو ملجأ المؤمن وكله يقين بأن الله قادر على حمايته من أعداء الله، فلما ضرب بالسوط الأول قال بسم الله والسوط الثاني لا حول ولا قوة إلا بالله والسوط الثالث القرآن كلام الله والسوط الرابع قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

وهو ينادي بك استغيث يا جبار السماء، ولذلك شهد له الجلادين بثباته، وهذه شهادة الأعداء وحتى الطبيب الذي عالجه شهد بشدة قلبه وثباته على الإيمان وعظيم صبره وصاحب نفس صادقه (٣٨:ج٩ص٢٠٣).

فقد اعترف صاحب شرطة المعتصم بان الفقيه لم يداخل السلطان ولا يخالط الملوك ولا يخافهم. وتعرض إلى العذاب النفسي الذي لا يقل ألماً من العذاب الجسدي بل هو اكبر فقال تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ} (آل عمران١٨٦) فقد سجن في سجن ضيق في بغداد وعرض إلى الإرهاب الفكري، كما حبس في بيته ومنع من الخروج إلى صلاة الجماعة أو صلاة الجمعة (١٤:ج١١ص٢٦٩).

كان يبهر الخصم في المناظرات والحوارات التي تدور بينه وبين الآخرين فلا يملكون القدرة والحجة المقنعة للرد عليه فكان متخذاً من قوله تعالى: {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً} (الكهف٣٤).

كان لديه أسلوبه الخاص عندما يريد أن لا يجيب أحد على سؤال لا يرى فيه فائدة للإسلام، فذكر بأنه لم يجيب على سؤال طرح عليه من قبل ابن أبي دؤاد ولم يتلفت إليه، فسأله المعتصم عن سبب امتناعه قال: (لست أعرفه من أهل العلم فأكلمه) (١٤: ج١١ص٢٤٧). فكان هذا الأسلوب إهمال الند حتى ولو عده الآخرون من العلماء، فقد كان يقدم الموعظة حتى إلى أعدائه وهو أسلوب من أساليب التربية الإسلامية وهي (النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل) (٣٧:ص٢٨١). كما وردة لفظة الوعظ في القرآن الكريم بقوله تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} (النحل١٢٥)، وكذلك قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (يونس٥٧).

وقد اتبّع منهجاً تربوياً في العفو فاستثنى من ذلك الداعية والمبدع فقال: (لولا أن ابن أبي دؤاد داعية لا حللته) فالداعية والمبتدع يدخلان في الدين ما ليس أصلاً به، فالداعية يدعو لمذهبه فتتبعه جماعة فيضلوا بضلاله، فهذا شره كبير، والمبتدع يضيف للدين ما ليس به من معتقدات وأفكار (١١: ص٧٣).

الدور التربوي في مواجهة التحديات الفكرية:

كان الفقيه أحمد بن حنبل رجلاً شديد البأس في الحق، وبين علماء الأمة هم المسؤولين في تحمل المسؤولية ولا بد من مواجهة الباطل حتى ولو صدر من الحكام. ففي كثير من المواقف وقف صامداً بل حقق الانتصارات لدين المصطفى محمد ﷺ حيث قال: عنه بشر بن الحارث قال: (أدخل أحمد بن حنبل الكير فخرج ذهبة حمراء) (٣٨: ج٩ص١٧). فقد وقف وقفة الرجال المدافعين عن الإسلام فالمسؤولية الكبرى تقع على العلماء لأنهم قدوة. قال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (البقرة٤٤). مما جعل الناس ينظرون للعلماء لا للحكام ولا للسيادة، واعد الجلوس مع أهل السلطة فتنة، وعليه فقد أدرك أن المعتقدات وأراء العلماء يجب إن لا تبقى كامنة في داخل النفس بل لابد من إن تخرج من حجرها إلى نطاق الواقع حتى لا تضل الأمة، وان المعتقدات والآراء الفكرية المضادة والمشوهة للدين لا تحارب بالسيف والسياط بل لا بد من محاربتها بالفكرة حتى لا تمحى ولا تزول. واعتقد بان الشجاعة في الفكر قضت على حدة السيف كما يقضي السيف على الرقاب تيمناً بقوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} (الحج٥٤).

وقف صامداً بوجه انتشار البدع فلا يجيب إلا من قرآن أو سنة أو قول صحابي فإذا لم يجد الجواب من هذه المصادر الأساسية في التربية الإسلامية لم يجبهم فيقول عنهم: (إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا ادري من الناس) ويقول: (في محابرهم هذه سرج الإسلام) (٨: ص١٨١).

كان لا يغضب إلا لله سبحانه وتعالى، ولم تظهر عليه إمارات الغضب إلا ما يغضب الله، كان شديد الخوف من ظهور الفتن بين المسلمين قال تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} (البقرة١٩١)، ودافع عن حرية الرأي والفكر، فقد أشار إليه بقدرة علمه على الرغم من صغر سنه مدافعاً عن حريات الناس ضمن حدود الله التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقد تحلى بالصبر وعده طريق للنصر القريب وبذلك يعد هذا الرجل العالم والفقيه أنموذجاً صادقاً للإيمان الحقيقي والصامد والصابر على مبادئ الدين الإسلامي وسيرة الرسول العظيم محمد ﷺ والصحابة العظام ولم يتأثر بكل الفتن وصيحات الآخرين الذين أرادوا النيل من الدين الإسلامي الحنيف.

خلاصة البحث:

من خلال الخوض في حيثيات البحث وتناول جوانب عديدة في سيرة هذا الفقيه والمفكر التربوي العربي الإسلامي، تمكن الباحث من التوصل إلى الملاحظات التالية:

١. كان فكر ومنهج وفلسفة الفقيه أحمد بن حنبل التربوية متجسدة بفلسفة التربية العربية الإسلامية، وكان ملتزماً اشد الالتزام بدستور الإسلام العظيم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة، كان يدعوا الناس إلى إطاعة الله سبحانه وتعالى والفوز برضاه، والعمل المفيد في الدنيا والآخرة.

٢. كان شديد الغيرة على دينه الإسلامي، ولا يهاب قول الحق والحقيقة في أي مكان أو زمان ولا يخاف في الله لومة لائم، وبذلك حصل على احترام وتقدير الآخرين من أصحاب السلطان أو سواد الناس وكان مؤمناً بتطبيق الفكر عملياً.

٣. اهتم بالجوانب التربوية بشكل خاص وخصوصاً في مناهج التدريس وكيفية مراعاة الفروق الفردية لدى تلاميذه واهتمامه الكبير في تفاصيل طرائق التدريس من حيث الحفظ والقراءة والإملاء والمذاكرة والمناظرة وطرح الأسئلة وبذلك يعد مجدداً في أساليبه، فاعتمد الرحلات والترجمة وهذه من سمات التربية الحديثة اليوم.

٤. كان يؤكد على بناء شخصية الأفراد بناءً رصيناً اعتماداً على المصادر الأساسية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، واعدهما الأساس في بناء شخصية الأفراد في الجوانب المتعددة (العقلية – الروحية – الاجتماعية).

٥. كان مقتدياً بالرسول العظيم محمد في سلوكه ومعاشرته للناس ومشاركتهم الأفراح والأحزان، ولا يحب المزاح، بل كان صامداً بوجه انتشار البدع، لا يغضبه إلا ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

٦. ابتعد عن حياة الترف لأنها زائلة، بل تلهي الإنسان عن الآخرة، وقد رفض هدايا الخلفاء وعطاياهم، بل عاش زاهداً ورعاً، لا يحب الشهرة والمدح والثناء ولا يتزين بلباس القرّاء ولا يحب السلطة والمواقع الإدارية.

٧. نتيجة لنزاهة نفسه ومكانته العلمية فقد أطلق عليه العلماء عدة أسماء وألقاب مثل (أحد أئمة الإسلام، إمام الحديث، الفقيه، إمام الورع، إمام الزهد، صاحب السنة، فقيه الحجة).

٨. اهتم بتعليم المرأة وذلك عن طريق إقامة الندوات العلمية التي تقام خصيصاً للنساء وتأخذ دروساً في التفسير والحديث.

٩. كان يؤكد على تلاميذه بأخذ العلم من رجال شهد لهم بالصدق والأمانة العلمية، ولا يتهافتون في قصور الخلفاء ومجالسهم، واعد الجلوس مع أهل السلطة فتنة.

١٠. كان يحترم أساتذته ولا يجلس حتى يجلسوا، بل كان كثير الدعاء لشيوخه في صلاته ودعواته كونهم أصحاب أفضال كثيرة عليه، وبذلك يعد نفسه مداناً لهم، كما عالج النفس الإنسانية بالإيمان، واعد القلب جوهر الإنسان.

الاستنتاجات:

استنتج الباحث من خلال دراسته لحياة الفقيه أحمد بن حنبل وفكره التربوي والعصر الذي عاش فيه، فقد وصل إلى:

١. إن الفقيه أحمد بن حنبل اهتم بالتربية السلوكية واعد العلم بدون العمل به لا يجدي نفعاً.
٢. وقف شامخاً في صد كل الانحرافات العقائدية التي أرادت النيل من الإسلام.
٣. لقد زود الفكر التربوي الإسلامي زاداً فكرياً في مجالات متعددة وخصوصاً في مجالات الفقه والحديث والفكر التربوي العربي الإسلامي.
٤. بما انه عاش عصر النهضة الفكرية، فقد رفد الفكر الإسلامي بالكثير من العلوم وبذلك يعد احد أعلام الفكر التربوي الإسلامي في ذلك العصر.

التوصيات:

١. يوصي الباحث في مواصلة البحث والتنقيب عن رموز التراث العربي الإسلامي وبيان جهودهم الفكرية والتربوية منها وليطلع عليها الأجيال، بعد أن غابت معالمهم في النفوس.
٢. القيام ببحوث مقارنة بين الفكر التربوي في العصور القديمة والحديثة، مع دراسة نماذج من مفكريها.

المقترحات:

١. إجراء دراسات مماثلة لمفكرين آخرين خدموا الأمة العربية الإسلامية في تلك العصور.
٢. الإفادة من هذه الدراسات لأنها الأساس قي تقدم الأمم والشعوب، وبذلك تعد روافد جديدة لرفد المكتبة العربية الإسلامية بالجديد المتطور.

المصادر

* القرآن الكريم.

١. البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل، مطبعة الأوفست، استانبول، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ .
٢. البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ب ـ ت.
٣. التركي، عبد الله بن الحسن عبد المحسن، أصول مذهب الإمام أحمد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٣، ١٩٨٠م.
٤. الترمذي، سنن الترمذي، أبواب العلم، باب فضل طلب العلم، ط٢، ب ـ ت.
٥. ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى أبو العباس أحمد عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ط٢، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي النجدي، مكتبة ابن تيمية، السعودية، ب ـ ت.
٦. الجندي، أنور، أعلام وأصحاب أقلام، القاهرة، دار النهضة المصرية، ب ـ ت.

٧. الجندي، علي، ومحمد صالح سمك وممدوح أبو الفضل إبراهيم، أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، مكتبة الانجلو، مصر، ط١، ١٩٦٠م.

٨. ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د.عبد الله بن الحسن التركي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٩م.

٩. فليب، داود جرجي، وجبرائيل جبور، تأريخ العرب، دار غندور، بيروت، ط٥، ١٩٧٤م.

١٠. حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الأول، دار الأندلس، بيروت، ب ـ ت.

١١. حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ب ـ ت.

١٢.الخضيري، محمد بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٧٠م.

١٣. الدايم، عبد الله، التربويون عبر العصور، حتى أواخر القرن العشرين، دار الملايين، ط٣، ١٩٧٣م.

١٤. الذهبي، أبو عبد الله، سيرة أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الزيبق، إشراف شعيب الارنؤوطي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

١٥.أبو زهرة، محمد، أحمد بن حنبل، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ب ـ ت.

١٦. الزهيري، عبد الكريم محسن، تقويم أداء الاختصاصي الإداري في ضوء مهماته الإشرافية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٩٤م.

١٧. الزهيري، عبد الكريم محسن، الفكر التربوي في العراق خلال القرن العشرين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، ٢٠٠٣م.

١٨. سالم، عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب ـ ت.

١٩. السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود الطناحي، ط١، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٦٤م.

٢٠. سيد الآهل، عبد العزيز، شيخ الأمة، أحمد بن حنبل، دار العم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

٢١. السيوطي، تاريخ الخلفاء، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، مطبعة منير، بغداد، ط٣، ١٩٨٧م.

٢٢. شمس الدين، عبد الأمير، الفكر التربوي عند الغزالي، دار اقرأ، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٢٣. الشيباني، عمر محمد، تطور التعليم العالي في ظل الحضارة الإسلامية المنشاة العامة، ليبيا، ط١، ١٩٨٢م.

٢٤. عزيز، مؤيد، الإسلام والغرب، من مجلة الموقف الثقافي، العدد / ٢٣، دار الشؤون الثقافية والعلمية، السنة الرابعة، ١٩٩٩م.

٢٥. ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ت٥٧١، للإمام الحافظ المؤرخ ثقة الدين أبو القاسم علي ابن الحسن، ج٢، دار المسرية، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٢٦. أبو العينين، علي خليل، منهجية البحث في التربية الإسلامية، من مجلة رسالة الخليج العربي، العدد / ٢٤ السنة الثانية، ١٩٨٨م.

٢٧. أبو الفضل، صالح، سيرة الإمام أحمد بن حنبل، ب ـ ت.

٢٨. القرعان، ختام محمود، أحمد بن حنبل، الأردن، اليرموك، ١٩٩٣م.

٢٩. القطري، محمد، الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ب ـ ت.

٣٠. الكردي، إبراهيم سليمان، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ط٢، ١٩٨٩م.

٣١. ابن ماجه، السنن، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٥هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥م.

٣٢. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، أبي الحسن بن علي بن الحسين المسعودي ت٣٤٦هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٣. مسلم، صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب الأدعية، للإمام يحيى بن شرف النووي، ت٧٧٦هـ ، دار الفكر، ١٩٨٣م.

٣٤. معروف، ناجي، أصالة الحضارة الإسلامية، مطبعة التضامن، بغداد، ط٢، ١٩٦٩م.

٣٥. ملكة ابيض، التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٣٦. منير الدين، أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ترجمة سامي الصقار، دار المريخ، الرياض، ١٩٨١م.

٣٧. أبو موسى، المديني، خصائص المسند، من طلائع كتاب المسند ابن الجوزي، المناقب ١٩١، ابن السعدي الجوهر المحصل، ٤٩.

٣٨. النجيحي، محمد لبيب، فلسفة التربية، القاهرة، مكتب سعد رأفت، ١٩٧٦م.

٣٩. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٣م.

٤٠. أبو نعيم الحلية، ٩، ١٨١، وانظر سير الأعلام، ١١، ٢١٤، ٢١٥.